

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد :

قال رحمه الله تعالى :

[فصل : وكان مما صنع الله لأنصاره من الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم
من يهود المدينة أن نبياً مبعوث في هذا الزمن ، ويتوعدونهم به إذا حاربوهم ، ويقولون :
إننا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكان الأنصار يحجون البيت كما كانت العرب تحجه
وأما اليهود فلا . فلما رأى الأنصار رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله تعالى ورأوا
أمارات الصدق عليه قالوا : هذا والله الذي توعدكم يهود به فلا يسبقنكم إليه] .

هذا الفصل ويليه فصول ذكرها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى تتعلق بهجرة النبي عليه الصلاة
والسلام للمدينة والبدايات التي كانت بين يدي هذه الهجرة من إتيان أناس من المدينة
وموافقتهم على مناصرة الرسول عليه الصلاة والسلام ومؤازرته صلوات الله وسلامه عليه ، مما
ترتب على ذلك فيما بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وبقائه فيها إلى أن توفي
فيها صلوات الله وسلامه عليه ؛ فكانت مهاجر النبي عليه الصلاة والسلام ومنطلق الدعوة
ومأرز الإيمان كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

قال ابن كثير رحمه الله : ((فصل ؛ وكان مما صنع الله لأنصاره - أي الرسول ﷺ - من
الأوس والخزرج))

والأنصار : جمع ناصر - مثل الأشهاد جمع شاهد - من النصرة وهي المؤازرة والمعاونة
والمعاضدة . وهو ما قام به الأنصار حيث إنهم نصرُوا الرسول عليه الصلاة والسلام ونصروا
الدين الذي جاء به ﷺ ؛ وهذا الاسم المبارك لم يكن اسماً للأنصار قبل الإسلام وقبل اللقاء
بالرسول عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو اسم اكتسبه الأوس والخزرج ومن الله ﷻ عليهم به
، بل سماهم الله به في القرآن في مواضع كثيرة بعد أن ناصرُوا النبي عليه الصلاة والسلام
وآزرُوهُ ﷺ . وقد جاء في صحيح البخاري عن غيلان بن جرير قال : ((قُلْتُ لِأَنْسٍ :

أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ ؛ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ - يعني في الجاهلية قبل الإسلام - أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ ؟
قَالَ : بَلَى سَمَّاَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) .

قول المؤلف رحمه الله : ((من الأوس والخزرج)) ؛ الأوس والخزرج هما أخوان عُرف بكلٍ منهما قبيلة ، فهناك قبيلة يقال لها قبيلة الأوس نسبة لأحد هذين الأخوين ، وقبيلة أخرى يقال لها الخزرج نسبة لهذا الأخ الآخر .

والأوس والخزرج هذان الأخوان هما ابنا حارثة ابن ثعلبة من بني قحطان ، وأمهما يقال لها قَيْلَة بنت عمرو ، ولهذا يقال للأوس والخزرج في بعض المصادر في كتب السير وكتب الأخبار "بنو قيلة" نسبة لأُمهما .

والأوس : هذه كلمة عربية معناها الإِيعَاء ، وأيضاً من معانيها التعويض أو العِوض .
والخزرج : أيضاً كلمة عربية ومعناها الريح الباردة .

قال : ((الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة)) ؛ لأنه كان مع الأوس والخزرج في المدينة يهود ، واليهود كما هو معلوم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة الكتاب الذي أنزل إلى موسى ﷺ مع أنهم حَرَفُوا وَبَدَّلُوا وَغَيَّرُوا ، والخزرج لم يكونوا أهل كتاب وإنما كانوا مشركين يعبدون الأصنام والأوثان مثل كفار قريش ، وكانوا يشتركون مع كفار قريش في أعمال كثيرة منها ما أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أنهم يَحْجُونَ البيت ، لكن القبائل التي كانت تحج البيت - سواء ممن هم من سكان مكة أو من الآفَاقِيَّين الذين يقدمون على مكة من الأنحاء - كانوا يَحْجُونَ مَهَلِّينَ بالشرك بالله والتنديد ، ولكل قبيلة من القبائل تلبية خاصة ، وكل قبيلة في تهليلها تنصُّ على معبودها أو الصنم الذي اتخذته من دون الله ؛ لكنهم يتفقون على الشرك ؛ فيقدمون على مكة يلبون بالشرك بالله ويقول قائلهم في تلبيته : " لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك " يقصدون معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ﷻ ، حتى أكرم الله الناس فجاء بالإسلام على يد محمد عليه الصلاة والسلام فأبطل الشرك والتنديد ، وأهلَّ عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعده بالإخلاص والتوحيد ((لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ)) وهي كلمات إخلاص وتوحيد لله تبارك وتعالى .

قال : ((أنهم - أي الأوس والخزرج - كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبياً مبعوث في هذا الزمن)) ؛ وهذا يقوله اليهود مما يجدونه في التوراة من مبشرات بالنبى عليه الصلاة والسلام ؛ فكانوا يذكرون للأوس والخزرج أن نبياً شارف بعثه في هذا الزمان وقرب بعثه ؛ وكانت بينهم عداوات .

((ويتوعدونهم به إذا حاربوهم)) ؛ كانت اليهود يتوعدون الأوس والخزرج أنهم يحاربونهم مع هذا النبي إذا بُعث .

((ويقولون إنا سنقتلكم معه -أي مع النبي إذا بُعث- قتل عاد وإرم)) ؛ إرم ذات العماد التي جاء ذكرهم في القرآن الكريم والذين أهلكهم الله ﷻ بالواد .

((وكان الأنصار يحجون البيت كما كانت العرب تحجه)) ؛ لكن كان حجهم للبيت بالشرك وليس بالتوحيد، شأنهم شأن القبائل كلها في ذلك الوقت التي تقدم من الجهات المختلفة يهلّون البيت قادمين إليه ملبين بالشرك بالله ﷻ .

قال : ((وأما اليهود فلا)) ؛ أي لا يحجون بيت الله تبارك وتعالى ولا يرون حج بيته الحرام .

قال : ((فلما رأى الأنصار رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله تعالى ورأوا أمارات الصدق عليه قالوا : هذا والله الذي توعدكم يهود به فلا يسبقنكم إليه)) ؛ أي لا يكونون السابقين إلى هذا النبي قبلكم ، فكونوا السابقين إليه قبل اليهود ، فكان ذلك باب خير لهم وتوفيق من الله ﷻ ، فحصلت بدايات - سيتحدث عنها ابن كثير رحمه الله - وهي عبارة عن أناس كانوا يقدمون المدينة فبعضهم سمع بالنبي عليه الصلاة والسلام والتقى به وسمع دعوته وتلا عليه النبي ﷺ من القرآن فلم يرّ ما جاء به عليه الصلاة والسلام واستحسن كلامه واستجوده لكنه لم يعلن القبول ، ثم بعد ذلك أيضاً جاء آخرون وسمعوا بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام فقبلوا الدعوة ورجعوا إلى المدينة دعاءً ، وبدأ الإسلام يدخل بيوت المدينة بيتاً بيتاً وبدأت الدعوة تنتشر ، ثم حصل فيما بعد البيعة الأولى ، ثم حصلت البيعة الثانية ، ثم من بعد ذلك حصلت الهجرة المباركة ؛ هجرة النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مما سيأتي تفاصيل ذلك باختصار عند ابن كثير رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله :

[(حديث سويد بن الصامت) : وكان سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس قد قدم مكة فدعاه رسول الله ﷺ فلم يُبْعِد ولم يُجِب ثم انصرف إلى المدينة ، فقتل في بعض حروبهم ، وكان سويد هذا ابن خالة عبد المطلب] .

بدأ ابن كثير يذكر بعض البدايات ؛ فذكر أولاً بعض البدايات التي حصلت من الوفود الذين قدموا إلى مكة وعرض عليهم النبي عليه الصلاة والسلام الدعوة فلم يعارضوه بالتكذيب وإنما استحسنا كلامه واستجودوه ، ولم يعلنوا قبولاً ولم يعلنوا أيضاً ممانعةً وتكديباً ، فذكر منهم سويد بن الصامت .

قال : ((وكان سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس)) ؛ من قبيلة الأوس سكان المدينة .

((قد قدم مكة فدعاه رسول الله ﷺ)) ؛ والنبي عليه الصلاة والسلام ماضٍ على طريقته يتلقى الوفود ؛ كلما سمع بأحد قدم إلى مكة ذهب إليه وعرض ﷺ عليه دعوته ، فلما عرض النبي ﷺ دعوته على سويد بن الصامت ذكر في حديثه للنبي عليه الصلاة والسلام بعض الحكم التي يحفظها مما ينسب إلى لقمان الحكيم ، واستمع النبي ﷺ لتلك الحكم ثم قال : ((إن هذا القول حسن وعندي لك أحسن منه)) فبدأ عليه الصلاة والسلام يعرض عليه الإسلام ويتلو عليه من القرآن . فقال سويد بن الصامت للنبي عليه الصلاة والسلام " إن هذا القول حسن " يعني هذا الأمر الذي عرضه النبي ﷺ قال هذا القول حسن ، ولهذا ابن كثير يقول هنا : ((فلم يبعد ولم يجب)) ؛ "لم يبعد" يعني لم يقل هذا كذب مثل ما كان الوفود يقولون ، "لم يجب" أيضاً لم يعلن الاستجابة للنبي ﷺ .

((ثم انصرف إلى المدينة)) ؛ يعني انصرف على هذه الحال دون تكذيب ودون إعلان إجابة للنبي ﷺ .

قال : ((فقتل في بعض حروبهم)) أي الحروب التي كانت تنشب في المدينة بين الأوس والخزرج ، وبينهم وبين اليهود .

((وكان سويد هذا ابن خالة عبد المطلب)) ؛ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه « الإصابة في تمييز الصحابة » - كما هو معلوم لدى طلبة العلم - قسّم الكتاب إلى أربعة

أقسام ؛ فذكر في القسم الرابع سويد بن الصامت وقال : " ذكره ابن شاهين وقال يشك في إسلامه " . قال الحافظ ابن حجر : " ذكره بعضهم معتمداً على ما روى ابن إسحاق عن عاصم ابن عمر عن أشياخ من قومه قالوا : قدم سويد ابن الصامت معتمراً فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فلم يبعد وقال : إن هذا القول حسن ، ثم انصرف فقتل ، فكان رجال من قومه يقولون إنا لثراه مسلماً " أي نظنه مسلماً . قال الحافظ ابن حجر " فإن صحَّ ما قالوا لم يعد في الصحابة لأنه لم يلقَ النبي ﷺ مؤمناً به لأنه حين لقي النبي عليه الصلاة والسلام لم يعلن الإسلام والاستجابة والقبول لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام وإنما اكتفى بقوله : " إن هذا القول لحسن " .

الخلاصة أن هذه من البدايات والمقدمات فيما يتعلق بأمر المدينة وقبول أهلها لمناصرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، فهذه قصة سويد ابن الصامت ثم يُتبعها أيضاً بقصة أخرى نظيرة ومقاربة لهذه القصة وهي :

قال رحمه الله تعالى :

[(إسلام إياس ابن معاذ وقصة أبي الحيسر) : ثم قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال إياس بن معاذ منهم - وكان شاباً حدثاً - : يا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ، فضربه أبو الحيسر وانتهره ، فسكت ، ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا إلى بلادهم إلى المدينة ، فيقال إن إياس بن معاذ مات مسلماً] .

ثم ذكر رحمه الله هنا قصة إسلام إياس ابن معاذ وقصة أبي الحيسر قال : ((ثم قدم مكة أبو الحيسر)) أبو الحيسر هذا من الأوس ، والأوس والخزرج كان بينهم في المدينة مناوشات حتى قامت بينهم الحرب التي تعرف بيوم بُعث ، وبُعْث مكان قريب من المدينة .

قال : ((ثم قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل ، يطلبون الحلف)) ؛ ذهب أبو الحيسر ومعه فتية من قومه - أي من الأوس - منهم إياس بن معاذ إلى قريش في مكة يطلبون منهم التحالف معهم ضد الخزرج ، وكان الخزرج أكثر عدداً منهم .

((فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام)) ؛ على عادته صلوات الله وسلامه عليه في تلقي الوفود ، فلما سمع ﷺ بمقدم هؤلاء الفتية عرض عليهم الدعوة إلى دين الله ، وكان مما قال لهم ﷺ : ((هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ !!)) أي من طلب التحالف مع المشركين ضد الخزرج !!

((فقال إياس بن معاذ منهم . وكان شاباً حدثاً .)) ؛ أعجبه كلام النبي عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى الإسلام فقال :

((يا قوم هذا والله خير مما جئنا له)) ؛ دعوة إلى دين الله والتوحيد والإخلاص ونبد الشرك .

((فضربه أبو الحيسر وانتهره)) ؛ أبو الحيسر كان القائم عليهم أو المسئول عنهم أو المقدم فيهم ؛ يقال أنه أخذ حفنة من تراب وضربها في وجه إياس بن معاذ ونحره وزجره .

((فسكت ، ثم لم يتم لهم الحلف)) ؛ الأمر الذي جاءوا لأجله وهو التحالف مع كفار قريش ضد الخزرج لم يتم .

((فانصرفوا إلى بلادهم إلى المدينة ، فيقال إن إياس بن معاذ مات مسلماً)) ؛ على إثر الرجوع إلى المدينة وقبل الهجرة بخمس سنوات وقعت بين الخزرج والأوس الواقعة المعروفة بوقعة بعاث نسبة إلى بلد قريبة من المدينة جداً ، وحصلت مقتلة عظيمة وقُتل فيها كثير من رؤساءهم وأعيانهم وكبارهم ، جاء في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ((كَانَ يَوْمٌ بُعِثَ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَأُؤُهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ)) ، وهذه من التقدّمات التي جاءت قبل الهجرة حتى يصلح أمر المدينة وينتهي لمبعث النبي عليه الصلاة والسلام ، كان فيها كبار وزعماء وأناس ربما يكون عندهم أنفة من أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام متولياً الأمر وينضوون تحته ويكونون تبعاً له ، فهذا أمر ربما يكون عند كثير منهم من الصعوبة بمكان . فكان يوم بعاث الذي حصل فيه هذه المقتلة وحصل فيهم من أثنى كثير منهم بالجراح وقُتل خيارهم وكبارهم ومقدموهم ؛ فأصبحوا في مثل هذه الحال مهينين لما جاء النبي عليه الصلاة والسلام ليكونون منضوين جميعاً تحته صلوات الله وسلامه عليه .

إياس ابن معاذ رجع إلى المدينة على إثر سماعه لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام وقتل في ذلك اليوم - يوم بعث - ويقال إنه مات مسلماً . والحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ترجم لإياس ابن معاذ في القسم الأول من الإصابة وقال : " قال ابن السكن وابن حبان له صحبة ، ذكره البخاري في تاريخه الأوسط فيمن مات على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين الأولين والأنصار ، ثم ذكر قصته مع أبي الحيسر عن ابن إسحاق عن محمود ابن لبيد وقامها : فكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج ثم إنه لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك ، قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضر من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه ، قال ابن حجر رواه جماعة عن ابن إسحاق وهو من صحيح حديثه " .

فالأقرب والله تعالى أعلم أن إياس بن معاذ مات على الإسلام ، لكن سويد بن الصامت وإياس بن معاذ سواء ثبت إسلامهما أو لم يثبت لم يُنقل لهما نشاط دعوي في المدينة ؛ فإن كانا أسلما فهذا أمر كسباه من لقاءهما للنبي عليه الصلاة والسلام ، بخلاف من جاء بعدهم وهم الستة نفر من الخزرج - الذين سيذكر قصتهم ابن كثير الآن - لما جاءوا ولقوا النبي عليه الصلاة والسلام وسمعوا دعوته وأعلنوا القبول رجعوا إلى المدينة دعاء إلى الله ثم زاد عدد المسلمين ، وفي العام القابل لما جاءوا إلى مكة حصلت البيعة الأولى ثم حصلت البيعة الثانية مما سيأتي تفصيله عند ابن كثير مما ترتب عليه بدايات مثمرة وعظيمة في مدينة النبي عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (بيعة العقبة الأولى) : ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة في الموسم ستة نفرًا من الأنصار كلهم من الخزرج وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، وعوف بن الحارث بن رفاعه وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نايي ، وجابر بن عبد الله بن رثاب ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلموا مبادرة إلى الخير ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام ؛ ففشا الإسلام فيها ، حتى لم تبقَ دار إلا وقد دخلها الإسلام] .

قال رحمه الله تعالى : ((فصلٌ بيعة العقبة الأولى)) ؛ العقبة نسبة إلى العقبة التي تضاف إلى الجمرة ؛ فاليبعة تنسب إلى العقبة لأنها تمت في المرة الأولى وفي المرة الثانية عند العقبة فيقال بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية .

قال رحمه الله : ((ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج)) مر معنا سويد بن الصمت ، وإياس بن معاذ وهما من الأوس ، وهنا ستة نفر من الخزرج قدموا مكة في موسم الحج فلقىهم النبي عليه الصلاة والسلام ودعاهم إلى الإسلام ، ذكر ابن كثير أسماءهم :

((وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، وعوف بن الحارث بن رفاعه وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نايي ، وجابر بن عبد الله)) ؛ فهؤلاء الستة من الخزرج لقوا النبي عند العقبة فشرح لهم عليه الصلاة والسلام الإسلام ودعاهم إليه فاستجابوا وأعلنوا للنبي عليه الصلاة والسلام إسلامهم وقبولهم للدين .

((فأسلموا مبادرة إلى الخير)) ؛ وهذه من كرامة الله ﷻ ومنه على هؤلاء نفر الستة ، وكانوا ﷺ مفتاح خير لأمر عظيم كان في المدينة .

قال ((ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام)) ؛ هؤلاء الستة الأخيار ﷺ قبلوا الدعوة من النبي عليه الصلاة والسلام وجاءوا إلى المدينة دعاء .

((ففشا الإسلام فيها)) ؛ بدأ الإسلام يدخل على أيدي هؤلاء الستة في المدينة .

((حتى لم تبق دار إلا وقد دخلها الإسلام)) ؛ وهذا من البركة العظيمة والخير العظيم الذي ساقه الله ﷻ على أيدي هؤلاء النفر الستة رضي الله عنهم وأرضاهم .

وبعض أهل العلم في كتب السير يعدُّون بيعات العقبة ثلاث بيعات :

١ - هذه البيعة لهؤلاء النفر الستة ؛ لكن لم يُنقل أنه تمت مبايعة لهم ؛ وإنما استجابوا للنبي عليه الصلاة والسلام وقبلوا الدعوة وذهبوا إلى المدينة دعاة إلى الله ﷻ .

٢ - ثم البيعة الثانية التي يتحدث عنها ابن كثير بقوله : ((فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً)) .

٣ - والبيعة الثالثة الآتية عند ابن كثير بعنوان : ((بيعة العقبة الثانية)) .

ومن أهل العلم وهو الأغلب والله أعلم في كتب السير يجعلونها بيعتين : بيعة أولى ، وبيعة ثانية .

ثم بعد ذلك ذكر رحمه الله العام المقبل والبيعة التي حصلت فقال :

[فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً : الستة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رثاب ، ومعهم معاذ بن الحارث بن رفاعة أخو عوف المتقدم ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة . وقد أقام ذكوان هذا بمكة حتى هاجر إلى المدينة فيقال : إنه مهاجري أنصاري - وعبادة بن صامت بن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، فهؤلاء عشرة من الخزرج . واثنان من الأوس وهما : أبو الهيثم مالك بن التيهان . وعويم بن ساعدة . فبايعوا رسول الله ﷺ كبيعة النساء . ولم يكن أمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا إلى المدينة ، بعث معهم رسول الله ﷺ عمرو بن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم منهم القرآن ويدعوان إلى الله ﷻ ، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة ، وكان مصعب بن عمير يؤمُّهم وقد جمَّع بهم يوماً بأربعين نفساً ، فأسلم على يديهما بشر كثير منهم : أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل ، الرجال والنساء ، إلا الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم يومئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة . فأخبر عنه النبي ﷺ فقال : " عمل قليلاً وأُجر كثيراً "] .

ذكر هنا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بيعة العقبة الأولى قال : ((فلما كان العام المقبل)) وهذا العام هو العام الحادي عشر من مبعثه عليه الصلاة والسلام ، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات .

((فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً : الستة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رثاب ، ومعهم: معاذ بن الحارث بن رفاعة أخو عوف المتقدم ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة . وقد أقام ذكوان هذا بمكة حتى هاجر إلى المدينة ولهذا يقال : إنه مهاجري أنصاري)) ؛ لأنه أقام في مكة إلى أن جاء وقت الهجرة وهاجر مع من هاجر فلهذا الاعتبار يقال له مهاجري ، وباعتبار أنه من أهل المدينة الذين بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على النصرة والمؤازرة يقال له أنصاري .

((وعباد بن صامت بن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، فهؤلاء عشرة من الخزرج)) ؛ الواقع أن العدد المذكور تسعة فسقط العاشر ، والعاشر هو : العباس ابن عباد ابن نظلة ، كما في البداية والنهاية لابن كثير وكما في مصادر السيرة الأخرى .

((واثنان من الأوس وهما : أبو الهيثم مالك بن التيهان ، وعويم بن ساعدة)) لاحظ ؛ الآن بدأ الالتحام والوثام والائتلاف واجتماع القلوب على دين الله ﷺ بين الخزرج والأوس ، وبدأت تلك العداوات تذوب حتى أذهبها الله ﷻ تماماً ؛ فاجتمعت قلوبهم على دين الله ﷻ بعد أن كانوا متقاتلين متناحرين بينهم عداوة وبينهم حرب وبينهم مقتلة شديدة ؛ كل هذه طغأت وانتهت بفضل الله ﷻ ومنه . فهذه بدايات .

((فبايعوا رسول الله ﷺ كبيعة النساء)) ؛ فهي بيعة على عدم الشرك عدم الفواحش والمحرمات ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَفْرِئَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ ﴾ [المتحنة: ١٢] .

قال : ((ولم يكن أمر بالقتال بعد)) ؛ وإنما بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة والائتمار ، والبعد عن الشرك وعن الفواحش والآثام .

قال : ((فلما انصرفوا إلى المدينة بعث معهم رسول الله ﷺ عمرو بن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم منهم القرآن ، ويدعوان إلى الله ﷻ ، فنزلا - أي مصعب وعمرو - على أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم - في الصلاة - وقد جمع بهم - أي صلى بهم صلاة الجمعة - يوماً بأربعين نفساً، فأسلم على يديهما بشر كثير منهم : أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل)) ؛ لأن أسيد ابن الحضير وسعد بن معاذ كل منهما كان سيداً في قومه وله مكانة ؛ فلما أسلما أسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل الرجال والنساء .

قال : ((إلا الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم يومئذ)) ؛ أئد : هو الجبل الذي يقع شمال المدينة ووقعت عنده المعركة المشهورة بين المسلمين وكفار قريش ، فهو في ذلك اليوم في مجيء كفار قريش إلى المدينة وحصول تلك الواقعة أسلم ودخل المعركة .

قال : ((فأسلم يومئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة . فأخبر عنه النبي ﷺ فقال : " عمل قليلاً وأجر كثيراً)) ؛ لأن حظه من الإسلام هي لحظة يسيرة جداً ؛ في آخر حياته أعلن الإسلام ودخل في الدين ودخل المعركة وقتل ، فحظه من الإسلام الشهادتين ، ولم يتهياً له أن يسجد لله سجدة فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا)) .

نظير هذه القصة قصة رجل آخر ذكرها ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه التفسير عند قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) ؛ فذكر خبراً جود إسناده عن جرير بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما برزنا من المدينة، إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ : "كأن هذا راكب إياكم يريد". فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ : "من أين أقبلت؟" قال: من أهلي وولدي وعشيرتي. قال: "فأين تريد؟"، قال: أريد رسول الله. قال: "فقد أصبته". قال: يا رسول الله علمني ما الإيمان؟ قال: "تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت". قال: قد أقررت. قال: ثم إن بعيره دخلت يده في جحر جُرْدَان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات، فقال النبي

ﷺ : "عليّ بالرجل". فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه، فقالا يا رسول الله، فُبِضَ الرجل! قال: فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ : أما رأيكما إعراضي عن الرجل، فإنني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعا"، ثم قال رسول الله ﷺ : "هذا من الذين قال الله عز وجل: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } ، ثم قال: "دونكم أخاكم". قال: فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال: "الحدوا ولا تشقوا، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا". ثم قال فيه: "هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيرا".

فمات على الإسلام وليس له حظ من الإسلام إلا "أقررت" والعبرة بالخواتيم ؛ وهذا يستفيد منه العاقل فائدة عظيمة وهي : أن يجتهد في الإحسان فيما بقي . الإنسان إذا نظر تاريخه في حياته وأيامه الماضية ويتأمل في عمره - من الناس من بلغ الخمسين الستين السبعين ربما الثمانين - ينظر في حياته ربما يجد أنها مرت في تفريط كثير ، وبقي عليه القليل ويلقى الله ﷻ ويحاسبه على أعماله وعلى ما قدّم في هذه الحياة ، فالعاقل يسأل الله ﷻ أن يغفر له ما قد مضى ، ويجتهد في الإحسان فيما بقي ، وما يُدري الإنسان ! قد يقوم في قلبه همة عالية بأن يحسن فيما بقي صادقاً بذلك معه الله مجتهداً ويكون الذي بقي له يوم أو يومان أو أقل أو أكثر !! فتكون له تلك الخاتمة العظيمة المباركة .

ومما يذكر في هذا الباب أن الحسن البصري رحمه الله تعالى لقي رجلاً فقال له : كم تبلغ من العمر ؟ قال أبلغ ستين سنة ، قال : أو ما علمت أنك في طريق وقد أوشكت أن تبلغ نهايته ؟ قال الرجل : " إنا لله وإنا إليه راجعون " ، قال أو تعرف تفسيره ؟ قال الرجل وما تفسيره ؟ قال "إنا لله" : أي أنا لله عبد ، " وإنا إليه راجعون" : أي أنا لله راجع ، فإذا علمت أنك لله عبد وأنك إليه راجع فاعلم أنه سائلك ، وإذا علمت أنه سائلك فأعد للمسألة جواباً ، قال الرجل وما الحيلة ؟ قال الحيلة يسيرة ! قال وما هي ؟ قال " أحسن فيما بقي يُغفر لك ما قد مضى ، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت فيما بقي وفيما مضى " .

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري في شرحه للحديث رقم (٢٦٥٣) (٢٨٠٨) من صحيح البخاري أن هذا اللفظ (عمل قليلا وأجر كثيرا) ورد في قصة رجل آخر من بني النبيت قبيل من الأنصار ، وأما قصة الأصيرم فرواها ابن إسحاق من حديث أبي هريرة أنه -

أي أبو هريرة - كان يقول : (حدثوني عن رجلٍ دخل الجنة ولم يصلِّ صلاة) ثم يقول ﷺ : هو عمرو بن ثابت أي الأصيرم . وروى ابن إسحاق قصته يوم أحد عن محمد بن لبيد وفي آخرها قول النبي ﷺ (إنه - أي الأصيرم - من أهل الجنة) . فهذا تنبيه ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله منبهاً إلى أن هذا اللفظ (عمل قليلا و أجر كثيرا) لم يرد في قصة الأصيرم وإنما في قصة رجل آخر .